

التقارب بين الشرق والغرب

قصة سليمان وبلقيس «أنموذجا»

د. منجية السوايحي
المعهد الأعلى لأصول الدين
جامعة الزيتونة (تونس)

تمهيد :

ساهمت الكتب السماوية مساهمة فعالة في البنية الثقافية والسياسية والاجتماعية، وبلورة التوجهات الايديولوجية لشعوبها، فمثلت التوراة وشروحها مصدرا أساسيا للمعرفة اليهودية ولتاريخها وحاضرها ومستقبلها، ومارست هذه المصادر سلطة دينية على العقول ووجهتها التوجهات التي رسمها أتباعهم لأنفسهم.

وللإنجيل دور كبير في بناء الحضارة الغربية وخاصة في الفكر البروتستانتي وتفاعل الإنجيل مع التوراة ؛ لتستمد الكنيسة الكاثوليكية أقوالا مأثورة وأساطير وردت في العهد الأول، تؤثر على الفكر بأنواعه في مجتمعاتها.

ويمثل القرآن دستور المسلمين الأول بتعاليمه، تدعّمه السنة النبوية والأقوال المأثورة والتفسيرات والإجتهاادات المثالية عبر العصور.

والناظر إلى هذه الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، نظرة سطحية يذهب في ظنه أنها متناحرة، تمنع التواصل بينها، وترفض التحاور

والتقارب، والأمر عكس ذلك بما أننا نجد في هذه الديانات نقاطاً تجمع ولا تفرق، تقرب ولا تباعد، تؤسس للحوار، ويمكن أن نستأنس بها اليوم وسط هذا الصدام المرعب بين الحضارات ووسط غلبة منطق القوة، لا قوة المنطق - عليها تساهم في تغيير واقع العالم الجديد، الذي أصبح قائماً على الإستعمار المسلح وغلق باب الحوار. ولا مخرج للإنسانية من هذا الوضع إلا بالعودة إلى الحوار الذي فتحته الديانات كلها ونخص منها الديانات السماوية وخاصة القصص من أمثال قصة يوسف وزليخا، وقصة آدم وحواء وقصة إبراهيم عليه السلام، وسليمان وبلقيس. وكلها تشهد بتواصل حضاري وثقافي يرفض الصدام. واخترت من بين هذه القصص قصة سليمان وملكة سبأ كنموذج للتقارب بين الحضارات. والتحاور الصامت بينها، وقد اشتركت الديانات الثلاثة في عرض هذه القصة وفي شرحها. شروحا تجاوزت العقل لتدخل عالم الخيال والأسطورة. وسأطرح هذه القصة كما جاءت في الكتب السماوية متبعة التسلسل التاريخي واتبع ما جاء في تلك الكتب بما حفّ حول نصوصها من شروح وقراءات لتلك القصة. وما تولد حولها من حكايات شيقة.

(1) القصة في التوراة

نقرأ في التوراة في سفر الملوك الإصحاح العاشر هذا النص «وعندما بلغت أخبار سليمان وإعلاؤه لاسم الرب مسامع ملكة سبأ، قدمت لتلقى عليه أسئلة عسيرة، فوصلت اورشليم في موكب عظيم جداً، وجمال محملة باطياب وذهب وفير وحجارة كريمة ... وأسرت إليه بكل ما في نفسها. فأجاب سليمان عن كل أسئلتها من غير أن يعجز عن شرح شيء ولما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان، وشاهدت القصر الذي شيده، وما يقدم على مائدته من طعام، ومجلس رجال دولته، وموقف

خدامة وملابسهم وسقاته، ومحروقاته التي كان يقربها في بيت الرب، اعتراها الذهول العميق، فقالت للملك :

«إن الأخبار التي بلغتني عن أمورك وحكمتك هي حقاً صحيحة، ولم اصدقها في بادى الامر، حتى جئت وشاهدت، فوجدت أن ما بلغني لا يجاوز نصف الحقيقة، فقد رأيت ان حكمك وصلاحك يزيدان عما سمعته من أخبارك فطوبى لرجالك، وطوبى لخدمك المائتين في حضرتك يسمعون حكمتك، فليتبارك الرب إلهك الذي سر بك، وأجلسك على عرش اسرائيل لانه بفضل محبته الأبدية لاسرائيل قد اقامك ملكاً لتجري العدل والبر».

وأهدت الملكة مائة وعشرين وزنة من الذهب وأطيبابا كثيرة وحجارة كريمة، فكانت التوابل التي أهدتها ملكة سبأ للملك سليمان من الوفرة بحيث لم يجلب مثلها فيما بعد... وأعطى الملك سليمان ملكة سبأ كل ما رغبت فيه، فضلاً عما أهداه إليها وفقاً لكرمه، ثم انصرفت هي وحاشيتها الى أرضها»⁽¹⁾.

تعتبر هذه القصة عن علاقة ملك بملكة، وأخذت منحى سياسياً دبلوماسياً : بلقيس ملكة عظيمة ثرية، تحكم بلدها، تعلم بأخبار غيرها من الملوك، ولما وصلت أخبار سليمان أعجبت به. ولا يقف الأمر عند الإعجاب، وإنما يتطور إلى جراءة فتزور هذا الملك وتتأكد من صحة الأخبار.

وتصف القصة زيارتها لأورشليم فقد حملت هدايا لا تحصى ولا تعد، وذلك كناية عن مكانة الملك الذي ستزوره. وتصل ملكة سبأ الى بلاط سليمان ويزداد إعجابها به بعدما رأت من سعة ملكه (قصر مشيد، اطعمة مختلفة، مجلس دولة مهيب، خدم سقاة، بخور، خدمة لبيت

(1) الكتاب المقدس، سفر الملوك الاول، الاصحاح 10، ص 452 - 453، الطبعة 5.

الرب...) هذا كله مع حكمة لا تماثلها حكمة تأكدت منها بعد أن ألفت على سليمان أسئلة أجاب عنها كلها.

ولا يغيب الجانب الديني عن القصة، وقد أعجبت ملكة سبا به إعجابا كبيرا فسليمان أعلى اسم الرب. وعلمت الملكة بذلك، ولما زارته شاهدت خدمته لبيت الرب، فدعت له قائلة :

«فليتبارك الرب إلهك الذي سر بك، وأجلسك على عرش إسرائيل».

ويظهر أثر الفكر الديني اليهودي في القصة فسليمان خليفة الله في الأرض حسب عبارة مملكة سبا هذه عن الرب الذي نصبه ملكا «بفضل محبته الأبدية لإسرائيل قد أقامك ملكا لتجربى العدل والبر، وتنتهي القصة عند هذه الزيارة الودية بين الملكين والتي وقع خلالها تبادل الهدايا ثم تعود الملكة الى بلدها منبهرة بعظمة سليمان، وما نلاحظه في هذه القصة ان الشخصية الاساسية هي شخصية سليمان فهو الذي بلغت أخباره الملوك، وهو محط الإعجاب، الذي تشدّ اليه الرحال ليتحقق أصحابها من صحة الخبر، وهو صاحب الحكمة، وهو فوق هذا كله من اختاره الرب لعرش إسرائيل وخدمة البيت. أما بلقيس فهي ملكة صحيح عظيمة ولكنها لا تصل الى درجة سليمان.

والنص الثاني لقصة سليمان وبلقيس في الحضارة اليهودية مستمد من ترجمة أرامية ثانية لسفر استير تمت فيما بين القرنين الثالث والسادس بعد الميلاد، والظاهر أنها إنحرفت كليا عن النص الذي جاء في سفر الملوك الأول وكانت ترجمته في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد.

وملخص هذه القصة :

«أقام سليمان احتفالا عظيما دعا اليه كل ملوك الشرق والغرب كما دعا اليه صنوف الحيوان. والطيور والزواحف والشیاطین والجن والأرواح،

وحضر الجميع فيما عدا الهدهد. وغضب سليمان واستدعى الهدهد مهددا إياه بالموت، وكان اعتذار الهدهد أنه كان قد طار إلى بلد اشتهر ببخوره وغناه، الى درجة أن الفضة كانت تلقى في الشوارع. وهذا البلد تحكمه امرأة. ثم عرض على الملك أن يحضر هذه الملكة، فسلمه سليمان خطابا يطلب فيه من الملكة أن تحضر، وردا على هذا الخطاب أرسلت له الملكة أسطولا محملا بالؤلؤ والأحجار الكريمة، كما أرسلت له ستة آلاف صبي وصبية في سن متماثلة وشكل متماثل ووعدته أن تسافر إليه بحيث تقطع المسافة في نصف الوقت العادي للرحلة، أي في خلال ثلاث سنوات بدلا من سبع سنوات حيث أن لديها مسائل تود أن تطرحها عليه.

وتصل ملكة سبأ الى الملك وترشد إلى حجرة أرضها من الزجاج، وكان يجلس بها الملك، وتصورت الملكة أن الملك يحيط جلسته بالماء فشمرت عن ذيل ثوبها. ولاحظ الملك أن ساقها كثيرة الشعر وعلق على ما رآه بأنه مخز للمرأة أن تكون كثيرة الشعر. ثم بدت الملكة تطرح أسئلتها الصعبة على الملك سليمان لتمتحن ذكاءه وهي ثلاث ألغاز :

الاول : ما هو الشيء الذي هو أشبه بالبنر الخشبية وله دلو يسحب الحجر إلى أعلى ومعه سائل ؟

وأجاب الملك :

- أنبوب الكحل.

الثاني : ما الشيء الذي يخرج ترابا من الأرض، وأسفله تراب ثم يندفع مثل الهواء ويتخذ طريقه إلى البيوت ؟

وأجاب الملك :

- إنه النفط.

ثم السؤال الثالث : ما الشيء الذي تندفع الريح في قممه وتصرخ، ورأسه مثل الأسد، وهو مدح الامراء، وخزي الفقراء، ويتألق به الموتى ويحزن الأحياء، وتبتهج به الطيور، ويخيب رجاء السمك.

وأجاب الملك : إنه الكتان (2).

وتزخر الرواية الثانية عن سليمان وبلقيس في الثقافة اليهودية بعناصر جديدة لم تذكر في النص الأول، مع انحراف كلي عما جاء فيه.

تبدأ القصة بإعطاء صورة عن سليمان هذا الملك الذي يقيم حفلا يجمع فيه ملوك الشرق والغرب، وصنوف الحيوانات ... والجن والشياطين والارواح ... وتبرز قصة الهدهد مع سليمان الذي تغيب عن مجلس الملك فيغضب ويهدده بالموت، واعتذر الهدهد بأنه طار الى بلد غني تحكمه امرأة.

وعرض الهدهد على الملك أن يحضر هذه الملكة فسلمه الملك خطابا. وهنا تغير الحدث عما جاء في رواية التوراة ليست الملكة هي التي أعجبت بالملك فقدمت إليه، إنما الهدهد اكتشف أمرها وأخبر سيده فطلبها الملك للحضور بواسطة مكتوب.

فما هو رد الملكة ؟ كان ردها لانقا بملك عظيم كسليمان حسبما جاء في الرواية أرسلت إليه «أسطولا محملا باللؤلؤ والأحجار الكريمة وستة آلاف صبي وصبية في سن متماثلة وشكل متماثل، وتعدده بالسفر إليه. وينضاف هنا الى الهدايا الصبايا والصبية التي لم نجدها في التوراة.

ولتبرز الرواية استجابة الملوك الغرباء لملك أور شليم هاهي ملكة سبأ تعدده «أن تسافر إليه بحيث تقطع المسافة في ثلاثة سنوات بدلا عن سبع

(2) عالم المعرفة العدد 241 الماضي المشترك بين العرب والغرب تأليف ل.أ. رانيل، ترجمة ، د.

نبيلة إبراهيم، مراجعة : د. فاطمة موسى، ص 42، 43

سنوات» ويسكت الخبر عن الوسيلة التي ستمكنها من الوصول في هذه المدة.

والجديد هنا ذكر المسافة وتحديد مدة الوصول، كما تعلم سليمان أنها ستطرح عليه مسائل.

ولما تصل الملكة تؤخذ الى غرفة من الزجاج، عنصر جديد في القصة تنبني عليه قصة جديدة : تدخل الملكة وتحسبها ماء فتشمر عن ذيل ثوبها، ورأى الملك في الزجاج ان ساقها كثيرة الشعر فقال : بانه مخز للمرأة أن تكون كثيرة الشعر «وسرى بعد هذا تطور قصة شعر الساقين وأسباب احضار غرفة الزجاج.

وفي هذه الرواية نجد الألفاظ التي جاءت الملكة لتلقيها على سليمان حتى تتأكد من حكمته والظاهر أن هذه القصة مليئة بما أنتجه الخيال الشعبي حول ملكة سبا وسليمان. سليمان هو الملك العظيم صاحب القدرة الخارقة للعادة يتحكم في كل الكائنات الموجودة على الأرض وملكة سبا، امرأة غنية وذكية وعظيمة الشأن وبارعة الجمال لولا السقان المشعرتان.

وقد نسج الأدب الشعبي حول هذه الإشارة «الساقان المشعرتان» روايات اغتنى بها الأدب الشعبي اليهودي انطلقت من ثقافة الشرق الأدنى التي تعتبر الشعر في الجسد رمزا للشياطين مما أدى إلى التماثل بين شخصية ملكة سبا وشخصية «ليليت»، الروح الشريرة في الميثولوجيا السامية تلك الروح تسكن المواطن المهجورة وتهاجم الأطفال، بما أنها ملكة الشياطين ذات الشعر المسبل وصاحبة القدم الخشنة ذات الظفر المشقوق⁽³⁾.

(3) عالم المعرفة عدد 241 ص 43.

وأوحى خبر الغرفة الزجاجة للقاصين بأنها حيلة من سليمان الحكيم الذي أخبر أن الملكة شيطان في صورة إنسان لان أمها جنية، ولها رجلا حمار فأراد أن يتأكد من صحة الخبر فاستعمل هذه الغرفة الزجاجة. وستكون هذه الأخبار حقلاً خصبا لقصة سليمان وبلقيس في الثقافة الإسلامية بعد نزول القرآن. ونعود إلى قصة سليمان وملكة سبأ في القصة العبرية الثانية لنلاحظ أن تلك القصة تشبه ماجاء في سفر استير عن مآدبة أقامها الملك أحشوروش، فهي تشبه مآدبة سليمان ونصها. «حدث في أيام احشوروش ... أنه جلس ذات يوم على عرش ملكه في شوشن القصر، في السنة الثالثة بعد عهده، وأقام مآدبة لجميع رؤساء جيش مادي وفارس وقادته، ومثل أمامه نبلاء المملكة وعظماؤها. وظلت اللوائم قائمة طوال مائة وثمانين يوماً أظهر فيها الملك كل بذخ من غنى ملكه، وعزة جلال عظمته، وبعد أن انقضت هذه الأيام، صنع الملك وليمة لجميع الشعب المقيم في شوشن العاصمة... واستمرت سبعة أيام في دار حديقة القصر، التي زينت بأنسجة بيضاء وخضراء وزرقاء، علقت بحبال كتانية ملونة في حلقات فضية، وأعمدة رخامية وأرائك ذهبية وفضية، على أرضية مرصوفة بجزع من بهت ومرمر ودر ورخام أسود ... وأقامت وشتي الملكة وليمة أخرى للنساء في قصر الملك أحشوروش،⁽⁴⁾ وكانت طائفة من اليهود تعيش تحت سلطة هذا الملك فلعلها استفادت من هذا النص لتصف مائدة سليمان.

(2) القصة في الإنجيل

نقرأ في الإنجيل : «وستقوم ملكة الجنوب يوم الدينونة مع هذا الجيل وتدينه، لأنها جاءت من أقصى الأرض لتسمع حكمة سليمان،»⁽⁵⁾ حسب

(4) سفر استير 1 : 1 - 9 .

(5) سفر متى 12 : 42 .

الأسطورة المسيحية عن ملكة سبأ أنها ستكون شاهدة يوم القيامة حسب عبارة المسيح الذي قال غاضبا من الفريسيين أن ملكة الجنوب ستقوم في الدين مع الرجال هذا الجيل وتدينهم لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وهو ذا أعظم من سليمان ههنا ⁽⁶⁾. إن ملكة سبأ في الفكر المسيحي ستكون شاهدة متبينة في اليوم الآخر لأنها أدركت حكمة سليمان، واستفاد المسيحيون مما جاء في العهد القديم فرفعوا من شأن سليمان الى أن جعلوه نموذجا للمسيح، واتخذوا من ملكة سبأ نموذجا للملوك الغرباء الذين تركوا عقائدهم وتحولوا الى المسيحية مستأنسين بما جاء في الفكر اليهودي لإبراز عظمة ملك سليمان وحكمته وعزته وإخضاعه للملوك الغرباء كملكة سبأ ودخلت قصه بلقيس وسليمان في الفكر المسيحي الفن المرئي ليشغل عليها الرسامون : «وقد أصبحت رحلة الملكة الطويلة من الأرض الغربية مقدمة لتصوير مشهد المجوس الذين يتعبدون الطفل يسوع فملكة الجنوب ترسم من ناحية وملوك الشرق من ناحية أخرى ويربط بين المناسبات الثلاث أن الجميع يقدمون الهدايا في حب الاله الحقيقي وقد انتشر تمثيل هذه المناظر انتشارا واسعا الى حد كبير».

وتطورت الأسطورة المسيحية لتتخذ من ملكة سبأ نموذجا للمجتمع المسيحي المتدين لتخرجها من صورة الغريب الذي تدين بالمسيحية ولا تقف الاسطورة عند هذا الحد بل تبرز مظهرها من خلاله تدمج الملكة في قصة العبور الحقيقي التي ظهرت في طقوس عديدة.

ونمت قصة الغرفة الزجاجة لتصل في قصة العبور الحقيقي الى قدم الملكة المشوهة والتي شفيت عندما غمستها في البحيرة لتظهر معجزة الماء في شفاء المرضى فالصورة الشيطانية انقلبت الى معجزة.

(6) انظر إنجيل روميا ، 11 - 31.

وتفرع عن القصة التلمودية لقدمي الملكة رواية فلكورية تذكر أن للملكة رجل إوزة فهي صاحبة شكل شرير وهكذا تولدت عن السيقان المشعرتين قصة العبور الحقيقي وقصة رجل الإوزة أيضا.

أن قصة سليمان وملكة سبا في الفكر الغربي تجمع بين الشخصيتين ولم تقتصر على فرد دون الآخر، ونجد أحيانا اهتماما كبيرا بشخصية ملكة سبا التي دخلت الأدب الغربي من ذلك مثلا مسرحية بيغماليون وفي العبارات المستعملة يوميا من تظنين نفسك؟ ملكة سبا؟ (7) ويقال للفتاة الجميلة «آه يا ملكة سبا».

3) قصة سليمان وسبا في القرآن

نقرأ في القرآن : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين، لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبأ يقين، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم، وجبتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. الله لا اله الا هو رب العرش العظيم، قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين، اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون، قالت : يا أيها الملأ اني ألقى الي كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلوا على وأتوني مسلمين، قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين، قالت : إن الملوك اذا دخلوا قرية

(7) عالم المعرفة ص 59 - 62.

أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون، فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتان الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون، إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون، قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم، قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين، وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين، قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.. (النمل 20 - 44) مقارنة بالنص العبري في التوراة والنص العبري الثاني فان القرآن الكريم أضاف عناصر جديدة لقصة سليمان ومملكة سبأ :

ملكة سبأ :

- إنها ملكة ذات حنكة سياسية ونلمس ذلك في عدة نقاط :
- انها تأخذ رأي رجال دولتها في الأمور المهمة وهامي تستشيرهم في أمر كتاب سليمان إليها.
- معرفتها بطباع الملوك الجبابرة الذين إذا دخلوا أرضا أفسدوها واستعبدوا أهلها وهي تحافظ على شعبها ولا تريد لهم الإذلال.
- اختبار سليمان عن طريق الهدية، هل هو ملك أو نبي ونتيجة لذلك الاختبار تتصرف وتتخذ قرارها بالحرب أو بالخضوع له.

عقيدة الملكة

- انها تعبد الشمس وقومها فهي من قوم كافرين.
- لما تلتقي بسليمان وتعلم أنه نبي تؤمن معه وتسلم لله رب العالمين.

سليمان

- في القرآن سليمان نبي أكثر منه ملك وتتوصل بلقيس الى الإقرار بذلك لما رأت من معجزات وحكمة وقوة مادية.
- سليمان يرفض الهدية لانه نبي حقا.
- سليمان نبي وملك قوي يحب الغزو.
- حباه الله بالمعجزات مثل الإتيان بعرش بلقيس.

تلك عناصر جديدة دخلت على قصة سليمان وسبأ الى جانب ما سبق ذكره في العهد القديم وفي الفكر المسيحي. هل اقتضت هذه العناصر على القرآن أو أنها اغتنت في ظل التفسيرات الإسلامية والقصص الإسلامي. هذا ما ستكتشف عنه دراستنا لما جاء حول القصة في تفسير الطبري لجامع البيان وفي عرائس المجالس للثعلبي.

القصة في تفسير الطبري وفي عرائس المجالس

عند تفسيره لآيات سورة النمل، يورد الطبري روايات كثيرة متأثرة بمرويات أهل الكتاب حول سليمان وملكة سبأ. وطبع تلك المرويات بالثقافة الإسلامية وتناول الشخصيات المهمة واحدة واحدة.

1 - الهدد :

وأبدأ بقصة الهدد فهو الذي أتى بخبر الملكة لسليمان ومن ثم تنطلق القصة من القرآن : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم

كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتني بسلطان ميين».

ويذكر الطبري سبب تفقد سليمان للهدهد والمتمثل في أن سليمان نزل منزلة في مسير له فلم يدر ما بعد الماء فقليل له : من يعلم بعد الماء هو الهدهد.

وتوضح الأخبار دور الهدهد في البحث عن الماء تحت الأرض ومن تلك الاخبار : «فبينما هو في مسيرة إذ احتاج الى الماء في فلاة من الأرض فدعا الهدهد فجاءه فينقر الأرض فيصيب موضع الماء. ثم تجئ الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ثم يستخرجون الماء»

ويورد الطبري خبرا ينقد هذه الأسطورة ويلمع الى أن في الفكر الاسلامي نقدا لما هو من نسيج خيال القصاصين مفاده أن نافع بن الأزرق قال لصاحب هذه القصة : قف يا وقاف أرأيت قولك: الهدهد يجئ فينقر الأرض فيصيب الماء كيف يبصر الماء ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه «وينفي الطبري وجود نص من القرآن أو الحديث يخبر عن سبب سؤال سليمان عن الهدهد وعن بحثه عن الماء وما الى ذلك مما يؤكد أن هذه الأخبار من زيادات القصاصين»⁽⁸⁾.

ونجد عند الطبري حديثا عن كيفية تعذيب سليمان للهدهد إن لم يأت بعذر مقبول ملخصها (نتف ريشه، نتف ريشه وتشميسه نتف ريشه كله فلا يعفو سنة، نتف جناحيه، نتف ريشه بتركه بضعة تنزو، ذبحه أو قتله،⁽⁹⁾ في عرائس المجالس ينمو هذا العنصر لتتداخل فيه الأحداث

(8) أبو جعفر محمد ابن جريري الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مج 9، ج 19،

دار الجيل، ص 89.

(9) نفس المصدر أعلاه، ص 90 - 91.

حسب هذا النص ، فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت العصر ، طلب الهدهد وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلم وهنا فسأل الجن والشياطين فقالوا : لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده..

قال ابن عباس في بعض الروايات عنه : وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال : اصلح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحه.

ويذكر الثعلبي أصناف التعذيب كما جاءت عند الطبري.

ويواصل قصة الهدهد قائلا : ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال عليّ بالهدهد الساعة، فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريد به فلما رأى أن العقاب يريد به بسوء ناشده الله.

وقال : بحق الذي قواك وأقدرك عليّ ألا رحمتني ولا تتعرض لي بسوء قال :

فولى العقاب عنه وقال له : ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك. ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا إلى المعسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له : أين غبت في يومك هذا، فقد توعدك نبي الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد : وما استثنى نبي الله ؟

قالوا بلى انه قال : أو ليأتيني بسلطان مبین، فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب : قد آتيتك به يا نبي الله، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخص ذنبه وجناحيه يجرحهما على الأرض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجذبها وقال : أين كنت لاعدبئك عذابا شديدا، فقال له الهدهد : يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه وسأله ما الذي أبطأك قال الهدهد : «أحطت بما لم تحط به علما، ... وجئتك من سبأ بخبر يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء واسمها بلقيس» (10).

ونلاحظ نمو قصة الهدهد عند الشعبي وتأثرها بالفكر الإسلامي : هذا سليمان يصلي العصر، وهذا العقاب يخاف الله بعد أن ذكره به الهدهد وكذلك سليمان يعفو عن الهدهد لما يناشده بالله.

ونلاحظ أيضا توسع العنصر ليتضمن العقاب الذي يتكلم مع الهدهد، وكذلك سائر الطير يتحدث معه وينذره بما عزم عليه سليمان وكل هذا من إضافات القصصين ليشدوا انتباه السامع هذا فيما يخص الهدهد ونتقل الآن الى شخصية سليمان.

سليمان في الفكر الاسلامي :

حسبما ما تقرأ في تفسير الطبري :

سليمان نبي وملك عظيم : «كان يوضع له ستمائة كرسي ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون بما يليه ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون بما يلي

(10) جامع البيان، مجلد 9، جزء 19، ص 92، وانظر قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأبي اسحاق أحمد ابن ابراهيم الشعبي، طبع دار الفكر، بيروت، 1412 هـ 1991 للميلاد، ص 314.

الإنس ثم يدعو الطير فتظلمهم ثم يدعو الريح فتحملهم فيسيروا في الغداة الواحدة مسيرة شهر» (11).

وكان لا يرى أحدا في الأرض له مملكة معه «وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حبيب إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدد على ملك بموضع من الأرض وهو لغيره وقوم كفره يعبدون غير الله له في جهادهم وغزوهم الاجر الجزيل والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره الى ملكه (12).

وملك سليمان الأرض كلها مع أربعة : مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين، وأما الكافران فالنمرود بن كنعان، وبختنصر، (13) ونفس الأخبار يوردها الثعلبي نقطف منها : كان سليمان عليه السلام غزاه لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض الا أتاه حتى يذله ويقهره.

وقوة سليمان هذه استمدتها القصاصون من الفكر اليهودي والمسيحي الذي جعل سليمان ملكا لا يقهر، وانما ديدنه اذلال الآخرين والسيطرة عليهم، والأخبار الإسلامية لم تتوجه بالنقد لتلك الأخبار وانما تبنتها لتبرز مكانة سليمان العقلية والسياسية والدينية والجسدية أيضا فسليمان «أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب الأبيض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ... وكان أبوه في

(11) جامع البيان ، مجلد 9، جزء 19، ص 89.

(12) نفس المصدر أعلاه ونفس المجلد والجزء ص 92.

(13) نفس المصدر أعلاه ونفس المجلد والجزء ص 82.

أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه، (14).

ولكي يؤكد القصاصون والمفسرون أقوالهم عن قوة سليمان يهتمون بشرح مناقبه الكثيرة ومواهبه المتعددة وهي :

* تحكمه في الرياح :

نزل في القرآن الكريم : «فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب».

وأصبح الريح حدثا مميّزا في قصة سليمان يستخدمه في خروجه لغزو العدو اذا اراده أمر بمعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت تلك الخشبة فحملتها حتى اذا أقلتها امر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روجه الى حيث اراد كما جاء في قوله تعالى : «ولسليمان الريح غدوها شهرا ورواحها شهرا» (15).

وأثر الأسرائيليات هنا باد، واخذ القصاصون المسلمون هذه الأخبار دون نقد ولا تمحيص رغم ما فيها من فكر استعماري وقهر للآخر وإذلاله وافتكاك خيراته مرر اليهود هذا الفكر ليبقى له صدى الى اليوم.

* تكليم سليمان للطير وفهمه لغته :

ومما وهب الله للنبي سليمان أنه يفهم لغة الحيوان ويكلمه فيرد عليه حسب رواية ابن فتحويه عن كعب الأحبار قال :

(14) عرائس المجالس، ص 295.

(15) عرائس المجالس، ص 295 - 296.

صاح طاوس فقال : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا
قال إنه يقول : كما تدين تدان.

وصاح همد فقل : أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا قال : انه يقول :
كما تدين تدان ... (16) ومصادر هذه الاخبار أغلبها عن رواة اسرائيليين
وفهمها القصاصون على ظاهرها والأغلب على الظن أن سليمان - إن
صحت الاخبار - أورد هذه الاقوال حكما على أفراء الحيوانات ليتقبلها
الناس كأخبار معجزة فيصلح بها المجتمعات وليس من المعقول أن ينطق
الطير بكل هذه الحكمة الى درجة أنه ينطق بآيات من القرآن في زمن
سليمان مثلما جاء في هذا الخبر :

صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا :
لا قال : انه يقول : «الرحمن على العرش استوى» (17) والخبر من
الاسرائيليات ويدل على دهاء اولئك الاخباريين الذين يجعلون من القرآن
مقولة لاحد حيوانات سليمان ولا نجد نقدا له من القصاصين المسلمين
وانما ينقلونه باعجاب وامثال هذه الاخبار كثيرة في كتب القصص
خاصة (18).

ويواصل القصص الاسلامي اظهار مكانة سليمان التي لا تظاهيها
مكانة فهو صاحب المدينة المصنوعة من القوارير المحمولة على الهواء وهو
صاحب العرش العظيم فكرسيه بديع مهول لو رآه مبطل أو شاهد زور
ارتدع وبهت صنع من أنياب الفيل والذهب والياقوت والزبرجد ... إنه
كرسي عجيب، يطوع بنو اسرائيل قصته لمصلحتهم الذاتية ولعقيدتهم
فأملوا هذا الخبر عن كرسي سليمان وهو يشبه خبر الهيكل الضائع فبعد

(16) عرائس المجالس، ص 296.

(17) نفس المصدر أعلاه، ص 297.

(18) نفس المصدر أعلاه، ص 295 - 298.

وصف هذا الكرسي وصفا غريبا عجيبا يقول الخبر : فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى أنطاكيا فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد الذهبي يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة دقها ورماء فحمل بختنصر فلم يزل أعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بأنطاكيا حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف له خبر ولا يدري أين هو (19).

وما ننتهي اليه مع شخصية سليمان فان المفسرين والقصاصين حسب هذه المقتطفات من تفسير الطبري ومن قصص الانبياء للثعلبي جنح الخيال بهم نحو التهويل والاطناب وحتى الكذب والاختلاق لشدة انتباه السامع الى ما يقدموه من أخبار عجيبة وغريبة ووجه هذا النوع من القصص الفكر الاسلامي وتفاعل معه في تلاقح حضاري لا يمكن فصل بعض عن بعض فهذا سليمان سلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سليمان : هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه. ثم أتى ارض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله الى البيت ما يبكيك فقال : يا رب هذا نبي من أنبيائك وقوم من اوليائك مروا علي فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الأصنام تعبد حولي من دونك قال : فأوحى الله تعالى : لا تبك فإني سوف أملؤك وجوها سجدا لي وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو احب الانبياء الي، ... ثم أمر الله سليمان

(19) عرائس المجلس، ص 308.

عليه السلام ان ينزل ويصلي فيه ويقرب عنده قربانا ففعل ذلك ... فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقّة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر معه من أشرف قومه : إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من ناواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب عنده والبعيد سواء لاتأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه فقالوا فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟

قال : قريب من ألف عام ؟ (20)

فهل يصدق العقل مثل هذا النص وانما الذي يصدقه هو أخذ الثقافات بعضها من بعض وتداخلها الايجابي بما يقرب بين شعوب الكون وسيزداد هذا المنحى وضوحا بعرضنا لما أحاط بشخصية ملكة سبأ من أخبار.

ملكة سبأ في الفكر الاسلامي :

لم يرد اسم ملكة سبأ ولا نسبها في التورات ولا الانجيل ولا القرآن في حين تحدثت الاخبار عنها بإسهاب فمن هي ملكة سبأ ؟ حسب ما ذكره الطبري والثعلبي هي امرأة يقال لها بلقيس ابنة شراحيل أو اليشرح وهو الهدهد وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن اليشرح ابن الحارث بن قيس بن صنعاء بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما ملك اليمن ولا يرى احد من الملوك كفوا له وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر... فولدت له بلعمة وهي بلقيس (21).

(20) عرائس المجالس، ص 298.

(21) نفس المصدر، ص 314.

إذا بلقيس بنت جنية وكأن العقل القصصي استكثر على امرأة ان تكون ملكة حكيمة فنسبها الى الجن.

كيف تولت الحكم هذه المرأة ؟ حسب نص الشعبى بعد وفاة أبيها طمعت في الملك فاختار قومها رجلا فملكوه عليهم فأكثر الفساد والظلم فعرضت عليه الزواج وقتلته لتخلص رعيته من ظلمه وعندها سلم اليها أهل البلد الحكم.

ونجد في آخر قصة توليها الملك أنه ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »

والاسقاط هنا باد للبيان فلماذا يقول الرسول هذا الكلام وبلقيس المذكورة بخير في القرآن انه تطويع القصاصين للنصوص ولرواهاهم.

ما هي صفات هذه الملكة ؟

إنها ملكة قوية وحكيمة فأولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر ألف، كل رجل منهم على عشرة آلاف ⁽²²⁾ ولها قصر ضخم يصفه الشعبى وصفا دقيقا وكأنه زاره ⁽²³⁾.

أما عرشها فحدث ولا حرج : «مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من درّ أصفر وصفائح السريير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في الهواء ⁽²⁴⁾ وتملك هذه الملكة اثنة عشر قيولا مع كل قيول

(22) جامع البيان، مجلد 9 ، جزء 19 ص 24.

(23) أنظر عرائس المجالس، ص 315.

(24) نفس المصدر، ص 317.

مائة ألف مقاتل ... والقيول بلسانهم : الملك تحت ملك مائة ألف مقاتل (25).

هذه الملكة العظيمة يكشفها الهدهد الذي التقى بهدهد اليمن حسب رواية الثعلبي وأعطى لكل هدهد اسما هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد ؟ قال يعفور : أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام، ومن سليمان ؟ قال : ملك الجن والأنس ... فمن أين أنت قال : أنا من هذه البلاد قال : ومن ملكها : قال : امرأة ، قال : ما اسمها ، قال : يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكة اليمن كله ... (26).

ويعود الهدهد الى سليمان ويخبره بأمر الملكة فيسلمه رسالة ليلقيها اليها ولينظر هل هو صادق أو كاذب . سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون.

ويتخذ القصاصون المفسرون من رسالة سليمان هذه عنصرا لاغتناء القصة ملخصها ، وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس فيها فتسجد لها فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها واستبطأت الشمس ... فدخل الهدهد من الكوة فألقى الصحيفة عليها فقرأتها (27).

وتصف الاخبار الجزئيات وكأن الرواي حاضرا وشاهد عيان من ذلك مثلا ان الهدهد لما أتى بكتاب سليمان وجد الملكة مستلقية على ظهرها فألقى الكتاب على نحرها وخبر آخر يقول : حمل الهدهد

(25) جامع البيان، مجلد 9، جزء 19، ص 94 - 95.

(26) عرائس المجلس، ص 314 - 315.

(27) جامع البيان، مجلد 9، جزء 19، ص 94 - 95.

الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة ففر فر ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها (28).

ولما تفتح الرسالة تجدد فيها وأنه بسم الله الرحمن الرحيم «وأتوني مسلمين»، وهي كلمات من الثقافة الإسلامية وهذا اسقاط من الرواة وصنع لهذه القصة بما جاء من أخبار إسلامية وتكشف الرسالة عن حكمة بلقيس :

إنها ملكة حكيمة لا تصدر عن رأي واحد بل تستشير رجال دولتها في الأمر : «يا أيها الملا افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون».

وهم رجال قتال وأولو قوة وبأس شديد ولكنهم يجعلون الأمر بيد ملكتهم ذات الرأي السديد وهامي مع قوتها وقدرتها على القتال تقول لهم : «ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة»، وصدق الله قولها : «وكذلك يفعلون»، فبلقيس عالمة بأخلاق الملوك الجبابة وبتصرفاتهم الرعناء.

ومحافظة على شعبها ترسل الهدية لسليمان لتختبره أهو ملك أم نبي فإن كان ملكا فهي لا تخافه أما ان كان نبيا فأمر آخر. وتبالغ الاخبار في وصف الهدية التي أرسلتها بلقيس لسليمان ومع الهدايا الكثيرة أرسلت اليه حقة فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع وخرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها وضمت اليه رجلا من قومها وأصحاب رأي وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت لسليمان : ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء واخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحهما واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا في الخرزة..

(28) عرائس المجالس، ص 312.

وقبل السفر أمرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلّموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوّاري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال. ثم قالت للرسول : انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر إليك نظرة غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه وإن رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب (29). وقد سمع الهدهد كل ما قالته الملكة فنقل الخبر الى سليمان فاتخذ كل الاسباب التي تؤكد أنه نبي مرسل فرد عليهم الهدية وقال لهم : ما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ، وهددهم بالغزو إن يأتوه مسلمين ولما رجع القوم للملكة وأخبروها بالأمر اقتنعت بأنه نبي وأن لا قبل لهم به فترسل الى سليمان أنها قادمة اليه بملوك قومها حتى ترى أمره.

فالنصر لسليمان اذا فهامي الملكة القوية تهابه وهنا تهابه لانه مرسل من الله لا لأنه نبي وينقلب الاعجاب الى ايمان واستسلام.

وتبرز مع قدوم الملكة لسليمان قصة عرشها الذي حاز اهتماما خاصا في قصة سليمان والملكة، لما له من دور في اثبات نبوة سليمان، فهو معجزة النبي، ولذلك حيكت حوله هذه الرواية : « قبل أن ترحل بلقيس الى سليمان » : « أمرت بعرشها فجعل في سبعة أبيات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها، ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها : « احتفظ بما قبلك وسرير ملكي، فلا تخلص اليه يد أحد ولا يراه حتى آتيك، » (30).

(29) عرائس المجلس، ص 317.

(30) عرائس المجالس، ص 320.

اذن العرش في حرز متين لا يمكن أن يصل اليه أحد هذا العرش الثمين وقد رأينا وصفه سابقا يطلبه سليمان ويريد ان يحضره جنوده قبل أن تصل بلقيس وقد رآها على مشارف ملكه.

وتختلف الروايات حول سبب احضار سليمان للعرش وأقربها الى الصحة في نظري إظهار الاعجاز الالهي الذي من به الخالق على نبيه سليمان. كما أراد سليمان حسب الروايات أن يختبر ذكاء الملكة فنكر لها عرشها : «اتهدي أم تكون من الجاهلين».

وتشرح الأخبار سبب اختبار سليمان لعقل الملكة وذلك أن الشياطين خافت أن يتزوج سليمان من بلقيس ويستولدها، فتفشي اليه اسرار الجن فلا ينفكون في تسخير سليمان وذريته من بعده، فأرادوا أن يزهدوه فيها فأعلموه أن في عقلها شيئا وأن رجلها كحافر حمار ولذلك نكر لها عرشها فتأكد انها عاقلة وبنا الصرح المرد ليتأكد من ساقياها هل هما ساقا بشر أم ساقا حيوان.

وقصة الساقين هذه رأيناها في النص العبري المترجم وفي الأسطورة المسيحية وعند الطبري أن أحد قدميها كحافر الدابة ⁽³¹⁾.

فما هو موقف سليمان من ذلك ؟

رأينا أن سليمان رأى أن ساقى الملكة كثيرة الشعر فقال : «إن هذا مخز للمرأة أن تكون كثيرة الشعر».

والخزي هنا جاء من نظرة ثقافة الشرق الأدنى التي تعتقد أن الشعر في الجسد يرمز الى الشياطين ومنه مائل الفولكلور اليهودي بين شخصية بلقيس وشخصية ليليت الروح الشريرة في الميثولوجيا السامية

(31) جامع البيان مجلد 9 جزء 19 ص 106 - 107 وعرائس المجالس ص 323.

التي تسكن المواطن المهجورة وتهاجم الأطفال وهي كثيفة الشعر ولها قدم مظفرة ومشقوقة كما رأينا سابقا.

وتتغير الصورة في القصص الاسلامي فترفع من شأن الملكة وتنفي عنها رمز الشيطان : « قيل لها ادخلي السرح فلما رآته حسبته لجة فكشفت عن ساقها فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدماء الا انها كانت شعراء الساقين وبهذا انتفى على الملكة أن تكون قدميها كحافر دابة وذات ظفر غليظ ومشقق. أما كثرة الشعر فأوجد لها سليمان حلاً لما قال : « ألا شينا يذهب هذا موسى ويبيدي سليمان رقة لا مثيل لها فيقول : « لا موسى له أثر فأمر بالنورة فصنعت ... وكان أول من صنعها ⁽³²⁾ . وهكذا يدخل عنصر التجميل في القصص الاسلامي لتكتمل صورة بلقيس الملكة العاقلة الحكيمة السياسية المحنكة ذات الجمال البارع.

وبعد دخولها على صرح ممرّد تجلس الملكة مع الملك وتساله أسئلة تختلف عما رأيناه في النص العبري، تسأله عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء فيجيب وتساله سؤالاً دينياً : « أخبرني عن كون ربك، فسعق سليمان فقامت عنه الملكة وتفرق جنوده فجاءه جبريل عليه السالم وقال له : « يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك » قال : « يا جبريل ربي أعلم بما قالت » قال :

« فإن الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل اليها
والى من حظرك من جنودك وجنودها فتسألها

تسألهم عما سألتك عنه ، ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها : « عما ذا سألتني ؟ قالت : « عن ماء ليس من أرض ولا

(32) عرائس المجالس ص 323.

من سماء فاجبت وعن أي شيء سألتني أيضا قالت : « ما سألتك عن شيء إلا عن هذا ».

فسأل الجنود فقالوا مثلها. وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب وهكذا تأخذ القصة الصبغة الدينية حيث يتدخل جبريل في الوقت المناسب لينقذ سليمان ويثبته على التنزيه للذات الإلهية.

وتنتهي قصة سليمان وملكة سبأ بإيمان بلقيس الملكة التي كانت تعبد الشمس هي وقومها فهاهي تسلم لله رب العالمين وتعترف بظلمها لنفسها بعد ما رأت من صدق سليمان وقدرته العجيبة. وتزوج بعض الأخبار بلقيس من سليمان ويبنى لها حصونا في بلادها ويزورها كل شهر ثلاثة أيام⁽³³⁾.

وبعد هذا العرض لقصة سليمان وملكة سبأ لاحظنا أنها كانت موضوعا مشتركا بين شخصيتين مهمتين في الأديان الثلاثة وموضوعا مشتركا بين الكتب المقدسة والتفسيرات اليهودية والمسيحية والإسلامية مما يدل على تواصل حضاري وثقافي بين المعارف الإنسانية.

نتائج البحث :

- بما تقدم، ندرك أن التداخل العبري والمسيحي والإسلامي العربي أغنى قصة سليمان وبلقيس بعناصر جديدة داخل الثقافة الواحدة ووسط مجموع الثقافات فجاءت موضوعات قصصية متشابهة وغير متشابهة متباعدة ومتقاربة اشتملت على زيادات من نتاج الخيال الروائي وكانت تلك الزيادات بدورها أرضا خصبة لفنائس من الرويات أضفت على شخصية بلقيس صورة الملكة التي خضعت لسليمان الملك والنبى.

(33) نفس المصدر، ص 322 - 323.

- ركز القصص اليهودي على ابراز شخصية الملك سليمان وخضوع الملوك الغرباء لسلطته فهو القوي الذي يحكم الكون كله ولا يقبل أن يوجد ملك مستقل بملكه فتغلب الثقافة اليهودية سليمان على شخصية الملكة.

- ترفع التفسيرات المسيحية من شأن سليمان وبلقيس بوصف سليمان مثالا للمسيح الذي جاء لينشر المسيحية ويتعالى عن متاع الدنيا وبلقيس نموذجاً للملوك الغرباء الذين استمالتهم المسيحية فاعجبوا بها واختاروها ديناً لهم ولشعوبهم ورأينا التلازم بين الشخصيتين في الفكر المسيحي لتصبح مجالاً رحباً لدراسات رمزية عرفت برموز الكتابة المقدس وتغتني القصة لتدخل فن الرسم وتعطي صورة تشبه مجيئ بلقيس لسليمان بمجيئ الكنيسة للمسيح وتشبه زواج الملكة بسليمان بزواج المسيح بالكنيسة.

- ان التلاقح الفكري بين الثقافات والأديان الثلاثة يسهل التقارب ويفتح الحوار وهذا التلاقح اذا وجد عقولاً واعية يسد المنافذ أمام الصدام لأن العيب ليس في الأديان ولكن في أتباع تلك الأديان.

للمخيال الشعبي دور كبير في اغناء هذه القصة ومثيلاتها الى درجة أنك تجد انحرافاً كلياً عن النص المقدس، وبعداً كبيراً بينه وبين التفسيرات الحافة به مما يعطي صورة عن المعرفة الانسانية وفعل الفكر الانساني فيها وعن قبول النصوص المقدسة لقراءات عديدة ومسترسلة تقبل الدوام والاستمرار.